

1. دوافع القول بخلق القرآن خُلِقُ القرآن:

هو مصطلح، يشير الى فكرة عقلية قاصرة ومغلوبة، ظهرت نتيجة تحكّم هوى النفس بالعقل، وذلك بإبعاده عن الدليل الشرعي، والذي يُعد أوسع من العقل البشري، علماء، وفهّماً، وتصويراً، وإدراكاً، فقياسُ كلامِ اللهِ على الخلقِ، ووصفُ القرآن بأنه مخلوقٌ، ينفي عنه أن يكون صفةً لله عز وجل، مما يُبيح لمن يتبنى هذا الرأي، تأويل وتفسير النصوص القرآنية حسب المُقتضى العقلي

2. مسألة خلق القرآن:

عام 218 هـ، أصدر الخليفة العباسي السابع عبد الله المأمون قراره الشهير بامتحان العلماء والفقهاء والمحدثين في مسألة القول بـ"خلق القرآن"، إذ فرض على الجميع الإقرار بأن القرآن مخلوق مُصدراً عقوبات مختلفة بحق من خالف هذا الاعتقاد.

محنة خلق القرآن: وهو الاسم الذي عُرفت به تلك الأحداث، حظيت باهتمام كبير من جانب الكثير من المؤرخين والباحثين المسلمين والغربيين، فغاصوا فيها دراسة وتحليلاً، ورأى بعضهم فيها نموذجاً ممتازاً للاشتباك والتداخل الجدلي بين الديني والسياسي في الإسلام.

والمقصود بمصطلح خلق القرآن هو أن النص القرآني مخلوق، مثله مثل بقية المخلوقات في هذا العالم. ولما كان الأخير لا يوجد به إلا قسمان لا ثالث لهما، وهما قديم أزلي موجود وقائم قبل الزمن، ومحدث طارئ مخلوق، فإن أصحاب القول بخلق القرآن، قد ذهبوا إلى أن القديم الوحيد الموجود هو الله عز وجل، أما جميع الموجودات الأخرى، فهي محدثة.

3. بين القول بخلق القرآن ورفضه:

كان الجعد بن درهم أول من نُسب إليه القول بخلق القرآن في الثقافة الإسلامية، وقد ذكر العديد من المصادر التاريخية أن الجهم بن صفوان، الذي تُنسب إليه فرقة الجهمية، قد أخذ بهذا القول من الجعد، فعمل على نشره والدعوة له بين الناس.

التيار المعتزلي الذي أقر بخلق القرآن اعتبر أن كلام الله هو صفة غير ذاتية فيه، وأنه مجرد صفة فعل حادثه في الزمان، ومن ثم فهو مخلوق ومُحدث.

في كتابه "التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي: دراسة في الأسس الأنطولوجية لعلم الكلام الإسلامي"، يوضح الدكتور عبد الحكيم أجهر موطن الخلاف في مسألة خلق القرآن، فيوضح أن التيار المعتزلي الذي أقر بخلق القرآن، قد اعتبر أن كلام الله هو صفة غير ذاتية فيه، وأنه مجرد صفة فعل حادثه في الزمان،

المحاضرة التاسعة

مشكلة خلق القرآن

السنة الثانية ليسانس

ومن ثم فهو مخلوق ومُحدَث، خصوصاً أن الكلام إنما يتكون من حروف وأصوات، ولا خلاف على أن تلك المكونات مخلوقة.

أما على الجهة المقابلة، فإن جماعة أهل الحديث، وهم الذين مثلوا التيار المبكر الراض للقول بخلق القرآن، اعتبروا أن كلام الله من الصفات الذاتية القديمة لله نفسه، فلا يمكن الفصل بينها وبين صاحبها، وهي تشترك معه في صفاته الذاتية، التي تأتي صفة القدم على رأسها.

التوجه السني المعارض للقول بخلق القرآن عمل على ربط هذا القول بأصول غير إسلامية، وذلك للتشنيع به والحث من قدر المدافعين عنه. على سبيل المثال، نجد أن ابن الأثير قد ذكر في كتابه "الكامل في التاريخ" أن الجعد بن درهم قد أخذ القول بخلق القرآن من بعض اليهود الذين درسوا تلك المسألة بدورهم على يد لبيد بن الأعصم، وهو نفسه الساحر اليهودي الذي تتسب له الكثير من المصادر الإسلامية القيام بسحر الرسول.

4. علاقة المعتزلة بمحنة خلق القرآن:

اعتقد المعتزلة بخلق القرآن، واعتبروا أن ذلك من الأمور التي لا سبيل للتشكيك فيها، وأن مخالفتها تقدرح في وحدانية الله، ومع ذلك قد يُثار السؤال هنا حول علاقة المعتزلة بهذه المحنة، ومدى مسؤوليتهم عما وقع فيها من أحداث.

الشائع عند المؤرخين والباحثين، يذهب أصحابه إلى أن المعتزلة مسؤولون مسؤولية كاملة عما وقع في تلك المحنة، ذلك أن كبار أقطابهم من أمثال ثمامة بن الأشرس وأبو الهذيل العلاف والجاحظ وبشر- المريسي وأحمد بن أبي دؤاد كانوا قد أحاطوا بالخليفة العباسي عبد الله المأمون، فأثروا عليه ودفعوه دفعاً للقول بخلق القرآن.

5. آثار القول بخلق القرآن :

-نفي الصفات عن الله عز وجل، والدخول في جدل اللاهوت، دون بينات وأدلة.

-نفي الإعجاز عن القرآن الكريم، والإدعاء بوجود التناقضات، وإعمال العقل فيها، وترك النقل.

-تأسيس ثورة تكفيرية متبادلة، من قبل المدرستين، العقل والرأي.

-تعطيل العمل بكتاب الله عز وجل، بحجة انه مقصور على الزمان والمكان، الذين نزلَ فيهما.

-فتح الباب لتوسع عقيدة الجهمية، وغيرهم من أصحاب العقائد المنحرفة. القول بأن علم الله مخلوق، وهذا يقتضي أن الله لم يكن له علم، حتى خلق العلم.

المحاضرة التاسعة
مشكلة خلق القرآن
السنة الثانية ليسانس
6. من أدلة بطلان القول بخلق القرآن

فَرَّقَ اللهُ عز وجل بين علمه وخلقهِ، فقال (الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان) الأدعية الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، بقول (أعوذ بكلمات الله التامات)، فمن المعلوم أنه لا يجوز الإستعاذة بمخلوق، فلو كانت كلمات الله مخلوق، لما استعاذ بها المصطفى عليه السلام. قول النبي عليه الصلاة والسلام : (فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على سائر مخلوقاته) فلو كان كلامُ الله مخلوقاً، لما استُنْتِجِي من مخلوقات الله التي فُضِّلَ عَلَيْهَا.